ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

الإصدار السابع – العدد ستة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – نيسان – 2024م
www.ajsp.net

"أهميّة تعليم المجاز لمتعلمي العربية من غير الناطقين بها"

إعداد الباحثة:

د. ديمة إبراهيم نوارة

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

الإصدار السابع – العدد ستة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – نيسان – 2024م
www.ajsp.net

الملخص:

الأهداف: يهدف البحث إلى التأكيد على أهمية العناية بالبيان العربي بشكل عام والمجاز بشكل خاص عند تأليف مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها وذلك لما للمجاز من أهمية تفوق قيمته البيانية والجمالية، ولذلك يركز البحث على القيمة الثقافية والفكرية للمجاز وإلى دوره في تحقيق عمليات الخطاب. كما تؤكد الدراسة على أهمية اتّباع منهجية متسلسلة تعتمد على التدرج والتنوع والتراكم عند تأليف مناهج البيان لدارسي العربية من غير الناطقين بها.

المنهجية: لتحقيق أهداف البحث جاءت الدراسة في قسمين: الأول نظري يتحدث عن مفهوم المجاز ومعناه عند اللغويين والبلاغيين العرب القدماء، والمحدثين. والثاني اتّبع المنهج التحليلي في جمع البيانات المتعلقة بأهمية تدريس المجاز لمتعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها، والأسباب التي تدفعنا إلى ضرورة تأليف منهاج قائم على البيان العربي بطريقة ممنهجة، ومن ثمّ يقوم البحث بتحليل تلك البيانات والاجتهاد فيها.

النتائج: خلص البحث إلى أنّ للمجاز قيمة وجمالية ووظيفية وفكرية في اللغة، وخلص كذلك إلى أهمية المجاز البياني كأداة تعليمية في تحسين مهارات الفهم والإنتاج اللغوي لدى متعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها.

الخلاصة: كشفت الدراسة الجوانب البلاغية والاجتماعية والسياسية والنفسية للمجاز في لغة الخطاب اليومي، وكذلك أبرزت قدرة المجاز على التوسع وإبداع تراكيب وتعبيرات جديدة بشكل يومي. كما أوصت الدراسة على ضرورة اعتماد منهجية متسلسلة متكاملة لتدريس المجاز.

الكلمات الدالة: غير الناطقين بالعربية، البيان العربي، المجاز، الفهم.

المقدمة:

تعدّ البلاغة العربيّة علمًا من علوم اللغة يجب أن يعتدّ بها عند تأليف مناهج تعليم اللغة العربيّة، ونجد في مناهج تدريس اللغة العربية للطلاب النّاطقين بها– أنّ اهتمامًا كبيرًا قد أولاه المؤلفون بالبلاغة العربيّة عند تأليفهم لهذه المناهج؛ نظرًا للأهميّة الوظيفية والجماليّة للبلاغة، بالإضافة إلى الأهمية الدينية والثقافية كذلك. إذ تدرّج مؤلفو المناهج في تبويب الموضوعات البلاغيّة، وقاموا بإدراجها في الوحدات الدّرسيّة بما يتناسب والمرحلة الدّراسيّة للطالب، وقد أفردت لها دروس مستقلّة متّبعة منهجية متسلسلة كما هو الحال عند عرض أبواب النحو، والقراءة، والاستماع، والكتابة، والمحادثة. أمّا فيما يتعلّق بمناهج تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، فقد افتقرت إلى منهج يقعّد عملية تدريس البلاغة وإيصال الجمل البلاغيّة إلى ذهن الطالب غير النّاطق بالعربيّة؛ ويعدّ ذلك قصورًا واضحًا في تأليف تلك المناهج. فنلاحظ مثلًا؛ أنّ هذه الكتب قد أولت اهتمامًا بمهارات اللغة الأربعة، وبذلك عُنيت عناية كبيرة بتقديم مستويات أنظمة اللغة (كالمستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى الدلاليّ، والمستوى النحويّ، والمستوى الكتابيّ)؛ ولكنّها كانت قاصرة في وضع منهجيّة متسلسلة في تقديم المستوى الدّلاليّ لغير النّاطق بالعربيّة. وعلى صعيد آخر؛ نجد بعض المحاولات لمناهج بعض المدارس التي تفرد كتبًا بلاغيّة مستقلّة لتعليم البلاغة للناطقين بغيرها؛ ومن الأمثلة على ذلك: دراسة المليجي. (المليجي، د.ت.) والكتاب الأساسي الجزء الثالث (بدوي، 1988). وتجدر الإشارة إلى أن تلك المناهج الدراسيّة كانت تسير على خطى البلاغيين القدماء في معالجة دروس البلاغة العربيّة وتبويبها، دون اللجوء إلى مطاوعة تلك النصوص وتقييمها ومواءمتها لتناسب المرحلة؛ فلم ترتكز على

التدرج والتنوع والتراكم لتحقيق الغاية في تعليم البلاغة للناطقين بغيرها. ومما لا شكّ فيه أنّ تعليم اللّغة العربيّة قديمًا– وأخصّ بالذّكر البلاغة والأدب العربيّ–قد لاقى صدًى واسعًا واهتمامًا بالغًا؛ ونلمس ذلك في الآثار الكتابيّة للقدماء الأعاجم منهم، وفي هذا الخصوص يرى أحد الباحثين أنّ العرب القدامى استعانوا بالأدب في تعليم العربية للناطقين بغيرها، إذ عنوا عناية بالغة بتوظيفه في تعليم العربية للأعاجم الذين اعتنقوا الإسلام منذ القرن الأول. (رمضان، 2019، ص68) وبناء على ذلك؛ يوضّح البحث مدى أهمية تعليم البلاغة– المجاز مثالًا، للناطق بغير العربية، وذلك بهدف وصول الأجنبي إلى مرحلة استيعاب الجملة البلاغية وإنتاجها، وكذلك القدرة على خلق الفرصة الإبداعية لإنتاج نصوص أدبية بلاغية متنوّعة.

مشكلة الدراسة:

يستقي البحث سيرورته من سؤال مركزي يتعلق بقيمة المجاز في الدرس اللغوي، ويشفعه بأسئلة فرعية أخرى تتمحور حول دور المجاز في تعزيز فهم الجملة البيانية وتحسين قدرة المتعلم الأجنبي على إنتاجها بشكل أفضل، وإن أمكن للمتعلم أن يبتكر مجازات جديدة تثري اللغة وتفتح أبوابًا لمفاهيم جديدة؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التركيز على أهمية تعليم المجاز للناطقين بغير العربية. ولا ينفكّ البحث يركّز على قيمة المجاز البيانية والجمالية والوظيفية والثقافية والفكرية، وكذلك يركّز على قيمته التواصلية الاتّصالية. كما تركّز الدراسة على ضرورة بناء منهج متسلسل لتعليم المجاز للناطقين بغير العربية، وتطمح بذلك إلى تأسيس منهج متكامل لتعليم البيان العربي في سلسلة أخرى من الأبحاث.

المجاز لغة واصطلاحًا:

ورد تعريف المجاز في لسان العرب: جُزْتُ الطريقَ وجازَ الموضعَ: سار فيه وسلكه وأَجازَه: خَلَّفه وقطعه، وأَجازه: أَنْفَذَه. (منظور، ١٤١٤ ه) [مادة: ج و ز] أمّا اصطلاحًا فيعرّفه الجرجاني بقوله: "مَفْعَلٌ من جازَ الشيءَ يَجوزه، إذا تعدّاه، وإذا عُدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وُصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعَه الأصليَّ، أو جاز هو مكانه الذي وُضع فيه (الجرجاني، أسرار البلاغة، 1991، ص395) ويستطرد: "وأمّا المجاز؛ فكلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأوّل، فهي مجاز وإن شئت قلت: «كلّ كلمة جزت بها ما وقعت به في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعًا، لملاحظة بين ما تجوّز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له فيوضع واضعها، فهي «مجاز». ومثال هذا قولهم في صفة راعي الإبل: «إنّ له عليه إصبعًا»، أي: أثرًا حسنًا. (الجرجاني، أسرار، 1991، ص351–352) ولم تخرج تعريفات اللغويين والبلاغيين القدماء (ابن فارس، 1997، صفحة 150) و (الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة.، 1904م، صفحة 329) للمجاز بأنّه: نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره. (ابن الأثير، 1420هـ.) (75/1) والمجاز: "وهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتّحقيق استعمالًا في الغير بالنّسبة إلى نوع حقيقتها." (السّكاكيّ، 1987، ص359) وهما مفهومان مرتبطان، كما يتّضح، بمفهوم الاستعمال إذ إنّ "اللّفظ قبل الاستعمال لا يتّصف بكونه حقيقة، ولا بكونه مجازًا، لخروجه عن حدّ كلّ واحد منهما." (الشوكاني، 1999، 74/1). ونستنتج من ذلك أنّ المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أصلًا، أي نقله من دلالاته المعجمية الأصلية أو الوضعية الحقيقيّة، إلى دلالة مجازية أو اصطلاحيّة جديدة على أن تكون هناك مناسبة بين الدلالتين. (حسن، 2021، ص51)؛ وينقسم المجاز إلى نوعين:

1- المجاز اللغويّ: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق في اصطلاح به التخاطب، مع قرينة مانعة عن إرادته، أي إرادة معناها في ذلك الاصطلاح. [باب الميم] (الشريف الجرجاني، 1983) وهذا المجاز نوعان:

- الاستعارة: وهي مجاز علاقته تشبيه معناه بما وضع له. وكثيرًا ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبّه به في المشبّه، فيسمى المشبه به مستعارًا منه، والمشبه مستعارًا له، واللفظ مستعارًا. (الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، 1993، صفحة 205)
- المجاز المرسل: وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وُضع له ملابسة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمة. (205)

2- المجاز العقلي: و «هو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأويل.» وللفعل ملابسات شتى، فهو يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب، فإسناد الفعل إلى الفاعل إذا كان مبنيًا له حقيقة، وكذا إسناده إلى المفعول إذا كان مبنيًا له. أمّا إسناد الفعل إلى غيرهما لمشابهته لما هو له في ملابسة الفعل فمجاز، كقولهم في المفعول به: عيشة راضية، وماء دافق، وكقولهم في عكسه: سيل مفعم، وفي المصدر: شعر شاعر، وفي الزمان: نهاره صائم وليله قائم، وفي المكان: طريق سائر، ونهر جار، وفي السبب: بنى الأمير المدينة. (86)

لن يتطرق هذا البحث إلى ذكر تفاصيل المجاز وأنواعه المتعددة وشروحاته؛ إذ فصّل البلاغيون القدماء والبلاغيون المحدثون في ذلك وأكثروا من الشرح فيه؛ ولكن الدراسة عرّجت على تعريف المجاز ونوعيه بصورة مختصرة؛ وذلك لأنّ هدف الدراسة هي الوقوف على مدى أهمية إدراج المجاز في مناهج اللغة العربية من الناطقين بغيرها، وبيان قيمته في علم البيان وعلم الخطاب.

تمهيد

إنّ أهمية المجاز لا تقتصر على اللغة العربية وحدها، بل تؤثر اللغات جميعًا المجاز بتعدد أنواعه وتُخصّب به مدوناتها اللغوية كما يتضح من التطور الفيلولوجي لهذه اللغات ولتصيغ رؤيتها للعالم عبر دلالته. وكان المجاز مدخلاً في التفسير وتجاوز علاقات الكلمات والمعاني والمقاصد، وتستعين اللغات بالمجاز في الخطاب اللغويّ وذلك لأهميّته الثقافيّة، والاجتماعيّة، واللغويّة، والبلاغيّة. (النور، 2022) ويرى ابن جني أنّ اللّغة أكثرها على المجاز، وقلّما يخرج الشّيء منها على الحقيقة. (ابن جني، 2008) 452/2 كما يُنظر إلى أنّ المجاز قضية عامة في الظاهرة اللغوية، وعمومها من ضربين: خارجي وداخليّ؛ إذ هي شاملة لكلّ الألسنة، ثمّ إنها شاملة لبنيتي اللسان الواحد: بنية الرصيد اللغوي المشترك، والذي يسخّر إلى التواصل الإبلاغي النفعيّ، وبنية الرصيد المصطلحيّ الذي يتأتى به التواصل المعرفيّ (إبراهيم وفيصل، 2022). ويرى (المسيري، 2002) أنّ أهمية المجاز لا تقتصر على مجرّد الإمتاع وإضفاء جمال التعبير، ولكنه في أكثر الأحيان جزء أساسيّ من التفكير الإنسانيّ، أي جزء من نسيج اللغة، التي هي جزء لا يتجزّأ من عملية الإدراك.

وفي سياق الحديث عن أهمية تدريس المجاز للناطقين بغيرها، فإن رفع الوعي بالمجاز لدى متعلمي اللغة الثانية مفيد لكل من زيادة مفرداتهم وتعزيز كفاءة التواصل بين الثقافات، وعندما يعرف متعلمو اللغة الثانية المجاز، يكونون قادرين على تخمين معنى مثيلاتها

اللغوية بشكل أفضل، بالإضافة إلى ذلك فهم قادرون على إنشاء مجازات معروفة للناطقين الأصليين للغة. علاوة على ذلك، فإن معرفة المجاز بكافة أشكاله يساعد متعلمي اللغة الثانية في استنتاج المعاني، وبالتالي الاحتفاظ بالمفردات بسهولة أكبر، وذلك لأنهم يستطيعون توسيع استخدام الكلمات المعروفة للفعل في معانٍ أخرى وبطرق أكثر تنوّعًا. وأخيرًا، قد يؤدي تدريس اللغة الثانية من خلال المجازات والاستعارات إلى جعل متعلمي اللغة الثانية يفكرون في اللغة ويستخدمونها بطريقة حيوية مما يساعدهم على تطوير وعي لغوي أكبر. (Ervas , Gola, & Rossi, 2017, p. 17)

ومن هذا المنطلق؛ لن يقتصر البحث في دراسته على أهمية المجاز الجمالية والفنية، وإنما سيتوسّع في التركيز على أهميته الدلالية والتركيبيّة والفكرية وقدرته على التواصل والاتصال، وكونه عاملًا مهمّا من عوامل تطوّر اللغة وزيادة دلالات مفرداتها وتراكيبها على ألسنة مستعمليها، كما أنّ لدراسة المجاز أهمية كبيرة سواء على المستوى الداخليّ للغة أو على مستوى ما هو خارجها، من حيث رؤية الإنسان للعالم والأشياء من حوله.

القيمة البيانية للمجاز

نجد أنّ المجاز مرتبط بعلم البيان وذلك لأنّه فرع منه أوّلًا، وثانيًا لارتباطهما سويًّا بتحقيق الإنباء والبيان. إذ يُعرّف علم البيان (الشريف الجرجاني، 1983، ص156) بأنّه إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه. وكذلك تُعدّ الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي بيانًا؛ فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان. (الجاحظ، 1423هـ-2002م، 82/1) والمجاز: ما جاوز وتعدى عن محله الموضوع له إلى غيره؛ لمناسبة بينهما؛ إما من حيث الصورة، أو من حيث المعنى اللازم المشهور، أو من حيث القرب والمجاورة، كاسم الأسد للرجل الشجاع، وكألفاظ يكنى بها الحديث. (الشريف الجرجاني، 1983، ص203) وبذلك تتّضح العلاقة بين البيان والمجاز، بالحاجة إلى استعمال أوجه مختلفة من الكلام لإيراد المعنى الواحد. ويُقال (خالفي، 2011، صفحة 103) أنّ الجاحظ قد ربط وظائف اللغة والمجاز معًا؛ فتحدّدت وظيفة اللغة عنده بأنها هي الإبانة التي اعتبرها ضرورة من ضرورات الاجتماع البشريّ لتبادل المعرفة ونقل الخبرة، وما دام الأمر كذلك فمن حقّ أهل اللغة أن يستخدموها ويتعاملوا معها بالطّريقة التي يرونها محققة لهذه الوظيفة ومؤدّية لهذه الغاية. وفي السياق نفسه، يشير ابن الأثير إلى أهميّة المجاز وقيمته البيانية بقوله: إنّ المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة؛ لأنه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التي هي الأصل أولى منه حيث هو فرع عليها، وليس الأمر كذلك؛ لأنه قد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر إليه عيانًا، ألا ترى أن حقيقة قولنا: «زيد أسد» هي قولنا: «زيد شجاع» لكن فرق بين القولين في التصوير والتخييل وإثبات الغرض المقصود في نفس السّامع؛ لأن قولنا: زيد شجاع" لا يتخيّل منه السّامع سوى رجل مقدام جريء، فإذا قلنا: "زيد أسد" يخيّل عند ذلك صورة الأسد وهيئته وما عنده من البطش والقوّة ودقّ الفرائس، وهذا لا نزاع فيه. (ابن الأثير، 1420هـ.، صفحة 78) كما يرى ابن رشيق القيروانيّ أنّ المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع. (القيرواني، 1981، 266/1) ومن ذلك نفهم ما للمجاز من صفة الإنباء والبيان، إذ قد نلجأ إلى الأساليب المختلفة أو الصور المختلفة وذلك لتحقيق معنى واحد يصل إلى الإفهام.

كما يرد الحديث عند القدماء بوظيفة المجاز في تحقيقه للاتّساع اللغويّ؛ وهو يعدّ ضربًا من ضروب البيان في تحقيقه للمعنى المراد. ويُنقل عن ابن جني (ابن جني، 2008، 208/2) بإشارته إلى المعاني التي يقصدها المتكلّم للعدول إلى المجاز؛ وهي: الاتّساع والتّوكيد والتّشبيه. وتفسر زيدان مقصود ابن جني بالاتساع بقولها: أن يوحي إلى أنّ الموجود في اللغة محدود، وأنّه يضيق بالمتكلّم

وخاصّة إذا كان شاعرًا تغمر نفسه أشياء لا يستطيع أن يظهرها بالرّصيد اللغويّ الموجود، فيلتجأ إلى المجاز الذي هو أصلًا لغته الأولى، فالمجاز وحده يمكّن صاحب اللغة أن يسدّ ما فيها من ضيق وعجز. (زيدان، 2016، ص143) وبذلك فالمجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى إذ به يخرج المعنى متصفًا بصفة حسيّة تكاد تعرضه على عيان السامع، كما أنّ العرب شغفت باستعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، فيؤتى به في اللغة لتقوية القدرات التعبيرية. (مداس، 2016، ص 16–18) وبذلك يتّضح لنا ما يحققه المجاز من الإنباء والبيان، وكذلك ما له من أهمية في الاتّساع في الكلام. وفي المجمل؛ فالمجاز لا يتحدّد فقط من خلال اللّغة فقط، وإنما يتشكّل من الطبيعة العقليّة والتصوّريّة ليخلق نظامًا إبداعيًا جديدًا في كيفيّة إدراكنا للعالم من حولنا.

القيمة الجمالية للمجاز

لا يخفى ما للمجاز من قيمة جمالية فنية إمتاعيّة، تزدان به الألفاظ، ويضفي إلى اللغة جمالًا في التعبير. وفي ذلك نقل بعض العلماء عن أرباب البلاغة قولهم: إن المجاز في الاستعمال أبلغ من الحقيقة، وأنه يلطف الكلام، ويكسبه حلاوة، ويكسوه رشاقة، فمثلاً قوله تعالى:**{فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ}** (الحجر 94) وقوله: **{وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦}** (الأحزاب 46) فلو استعملت الحقائق في هذه المواضع لم تعطِ ما أُعطي المجاز من البلاغة. (ابن النجار، 1997، 155/1) وفي هذا الشّأن يقول ابن قيم الجوزية: " إنّ المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله، ميلهم إلى الاتّساع في الكلام وكثرة معاني الألفاظ ليكثر الالتذاذ بها، فإنّ كلّ معنى للنفس به لذّة، ولها إلى فهمه ارتياح وصبوة، وكلّما دقّ المعنى رقّ مشروبه عندها، وراق في الكلام انخراطه، ولذّ القلب ارتشافه، وعظم اغتباطه. ولذلك كثر[المجاز] في كلامهم حتّى صار أكثر استعمالًا من الحقائق، وخالط بشاشة قلوبهم حتّى أتوا منه بكلّ معنى رائق، ولفظ فائق." (الجوزية، 2014، ص10) وقد حدد ابن سينا مفهوم المجاز وبعضًا من ضروبه (درابسة)، مبيناً دوره في تشكيل اللغة الإبداعية وصياغتها، كما ربط ابن سينا المجاز بالتغيير وهو يعني بشكل واضح الانحراف عن المألوف والمتعارف عليه في اللغة بحيث يصبح للتراكيب اللغوية في العمل الإبداعي دلالات جديدة. إضافة إلى ذلك، فقد ربط ابن سينا المجاز بالتخييل واللذة وهو فهم عميق لدور المجاز في البنية الشعرية، وعلاقة ذلك بالمتلقي بوصفه طرفًا أساسيًا في العملية الإبداعية. وتتّضح لدينا طبيعة المجاز التخييليّة وغايته الجماليّة. فالأسلوب المجازيّ—كما يرى حسن--يجذب المتلقّي أكثر من التعبير المباشر، لما في المجاز من قدرة على تلوين الأفكار، وصناعة الصور وإمداد الخيال بالمفردات اللطيفة البراقة التي تخدم الهدف من الكلام، إن كان صاحبه يريد أن يقنع الآخرين بوجهة نظره أو يدافع عن نفسه أو يدعو الناس إلى الانضمام إليه، أو يريد أن تكون كلماته ملهمة. (حسن، 2021، ص47) فالمجاز يزيد المعنى جمالًا ووضوحًا وتقوية بإشارة الذّهن إليه؛ وترى وشن أنّ المجاز ينتقل بذهن السّامع إلى آفاق لغويّة جديدة وصور رائعة وفي هذه العمليّة تجديد وتطوّر لأساليب اللغة، فكثير من التطوّرات الدّلاليّة في اللغة العربيّة حصلت بسبب الاستعمالات المجازيّة للفظة. (وشن، 2021) ومما لا شكّ فيه؛ أنّ للمجاز قيمة فنية جمالية تعبّر عن جمالية اللغة وتزيّن الألفاظ وتتجاوز ذلك إلى التفنّن في التعبير وخلق صور جديدة للمتلقّي.

وفي هذا الصدد؛ لا نخفي ما للمجاز من قيمة تصويريّة تحفّز الطاقة التّخيليّة وخلق للصور البيانية والتعبيريّة بأشكالها كافّة؛ وفي ذلك يقول حازم القرطاجني: "من يعمد إلى أن يخيل أوصافًا يوهم أنّ لها حقيقة في تلك الجهة من غير أن يكون كذلك في الحقيقة، بل على أنحاء من المجاز والتنويه ليبالغ بذلك في تمثيلها للنفس على أحسن وأقبح ما يمكن بحسب غرض الكلام، من حمد أو ذم." (القرطاجني، 2008، صفحة 263) فالمجاز يخلق نظامًا تصوّريًا كاملًا، يتعدّى كون الكلمة مرتبطة بأخرى، إلى ارتباط نظام تصوّري

بنظام تصوّريّ آخر، وبالتّالي يشكّل خلق تلك الأنظمة ما سمّه حمّودة بـ "الخريطة المعرفية"؛ فمثلًا: مفاهيم الحبّ مرتبطة بمفاهيم السفر، كما ترتبط مفاهيم الجدال بمفاهيم الحرب، كما يعتمد البناء التصوري الكلي لعقلنا على خلق تلك الأفكار التجريدية بوساطة المجاز اعتمادًا على خبرتنا الجسدية في العالم. وتبيّن لنا أنّنا نتعلّم المجاز طوال الوقت آليًا وبلا وعي وفي سنوات عمرنا الممتدّة، وبعد ذلك نستعمل التعبيرات المجازية في حياتنا اليوميّة، وتتضمن التعبيرات المجازية الأساسية أو الأولية عبارات مثل: "دفء العاطفة" (ومنه يتفرع قولنا: "ابتسامة دافئة"). وعبارة مثل: "الوقت حركة" (ومنه يتفرع قولنا" طار الوقت). (حمودة، 2010) وبذلك نخلص إلى أنّ للمجاز قيمة جمالية توسّع المدارك والأفق إلى تعبيرات جديدة خلّاقة، نعبّر من خلالها عن مختلف عواطفنا وحياتنا اليومية.

القيمة الثقافيّة للمجاز

تناولت عدّة دراسات حديثة أهميّة البلاغة في الموروث الثّقافي والخطابي والدّلالي؛ وركّزت على أهميّة معرفة متعلّمي اللغة العربية من غير الناطقين بها للموروث الثقافي الدلالي، وذلك لأنّ اللغة ثقافة ووعاء حضارة. فالثقافة هي الوجه الآخر للغة؛ فإن أهمل الجانب الثقافي ضعف الجانب اللغويّ. وعلى سبيل المثال، جملة: "فلان كثير الرماد" فهذا من الموروث الثقافي لدى العرب فمن كان رماده كثيرًا دل على كرمه وجوده. هذه الكناية لا يمكن أن يفهما الناطق بغير العربية دون فهم الموروث الثقافي لها. (الزيادات، 2016) فالمجاز ليس أداة شعرية للتعبير عن المشاعر فحسب، إنّه جزء لا يتجزأ من لغتنا؛ ويؤكّد على هذه المقولة حمودة؛ إذ يقول: فقد درجنا في حياتنا اليومية على القول: "حياته جحيم"، و"بيته ملعب كرة"، و"هذا عمل سهل كشربة ماء" وهلم جرا؛ وكأننا بهذه العبارات نتواصل مع بعضنا بشكل مجازي. ويستطرد بأنّ استخدام المجاز أمر سهل، ونحن نفضله في التواصل مع الآخرين لأنه يساعدنا في التعبير عن التفاصيل مهما كانت دقيقة. وفي هذا تأكيد لما للمجاز من أثر في حياتنا الاجتماعية الثّقافيّة ولا مناصّ عنه في تشكيل الوعي الثقافي والجمعي وفي التعبير عن تفاصيلنا اليوميّة بأساليب لغوية متعدّدة ومتّسعة. (حمودة، 2010) وللمجاز أهمية كبيرة في تشكيل لغة خاصّة يمكن تسميتها بالمجتمع اللغويّ بما هو فصل عن اللغات الأخرى داخل المجتمع العامّ وبما هو توحيد لما تحته، فالمجاز تعبير عن واقع المجتمع والظروف التي يعيشها؛ أي أنّ الكلمات فيما نرى نوافذ تشعّ ألوان العادات والتّقاليد المرتبطة بالمجتمع المتغيّر دومًا وعلى هدي من هذا التّغيّر تظهر قيمًا جديدة وتهدر قيمًا أخرى تتّسع أو تضيق. (عبد الجليل، 1986، ص122)

وفي سياق الحديث عن أثر المجاز في ثقافاتنا وفي التعبير عنها؛ يرى لاكوف أنّ للثقافات المختلفة أنسقة تصوّريّة ولغوية مختلفة، والثقافات توجد في بيئات فيزيائيّة، وهذه البيئات تختلف جذريًّا فيما بينها، وبذلك تختلف الأنسقة التصوّريّة والتعبيرات المجازية تبعًا لتلك البيئات. (لايكوف و جونسون، 2009، صفحة 150). كما يتحدّث حسن (حسن، 2021، ص56) عن تأثير الثّقافة في طريقتنا للتّفكير من خلال اللّغة التي يستخدمها النّاس للتّعبير عن ثقافتهم هذه، وهي تؤثّر في تصنيفنا للأشياء، وتقسيمنا للعالم الذي نختبره. فهناك جانب من الثّقافة عبارة عن رموز مدفونة في بطون المعاجم والتّراكيب النّحويّة للغة، وكلّ يعبّر عن هذه الرموز بلغته، وبما يتوافق مع خبرة كلّ شخص ولغته. كما يؤكد على أهمية الاستعارة في الاستعمال اللغويّ اليوميّ، وبأنّنا نلجأ للاستعارة بصورة يوميّة وآلية تقريبًا، وهي جزء مهمّ من تجاربنا وسلوكنا وانفعالاتنا التي هي استعاريّة من حيث طبيعتها، ولا يمكن لأحد أن يتجنّب الاستعارات، فحتّى إن تمكّن من أن ينهي وجودها فيما يتحدّث به أو يكتبه فليس بوسعه أن يزيلها من ذهنه وهو يفكّر فيما يريد أن ينطقه ويدوّنه، لأنّها ليست مظهرًا لغويًّا صرفًا، بل هي مظهر ثقافيّ عامّ. ومن الأمثلة على المجازات المتعارف على دلالاتها الثقافية: أن يوصف اليوم الذي تهاوت فيه البورصات العالميّة بأنّه <<الثّلاثاء الأسود>>، أو يقول أحدهم: <<الحقّ يعلو>> أو الجنازة حارّة>>.

ومفاد القول؛ أنّ المجاز يتجاوز أهميّته البلاغية الأدبيّة إلى إضفاء مضمرات ثقافية مجازية بدءًا من محادثاتنا اليومية الاعتيادية وانتهاءً بالخطب السياسية مرورًا بالنصوص الأدبية والعلمية والتربوية والإعلانية. (حسن، 2021، ص92–93)

القيمة العقلية للمجاز

يعبّر عبد القاهر الجرجاني عن قيمة المجاز العقليّ (الجرجاني ع.، دلائل، 1992، ص295)، وروعته في نظم الكلام ووصفه بأنه "كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتساع في طرق البيان، وأنه يجيء بالكلام مطبوعًا مصنوعًا، وأنه بضعه بعيد المرام قريبًا من الإفهام. وفي ذلك المقام يفسّر أحد الباحثين قول عبد القاهر بقوله: إن أسرار بلاغة المجاز العقلي تتمثل فيما يلي: (الجناحيّ، 1983، ص172)

- الإيجاز: وذلك لأنك إذا قلت: كسى الأمير الكعبة، كان هذا القول أوجز من قولك: كسى العمال الكعبة بإذن من الأمير.
- إثبات الفعل بدليله. وذلك ما ذكره عبد القاهر – في الأسرار – وملخصه: أن الإسناد إلى الفاعل المجازي، تأكيد لصدور الفعل من الفاعل الحقيقي، وذلك لأنه إذا صح أن يقع الفعل من الفاعل المجازي – وهو فرع – فإن حدوثه من الأصل أكد. (الجناحيّ، 1983، ص174)

ويرى غاليم في هذا المقام؛ أنّ العلاقات العقليّة–الاعتقاديّة هي التي تسمح بقيام الملازمات بين المعاني، بالانتقال من حكم إلى آخر، فينتقل من الملزوم إلى لازمه، وهو النّبت في مثل: رعينا غيثا، وينتقل من اللازم إلى الملزوم في الكناية، كالانتقال من طول النّجاد إلى ملزومه، وهو طول القامة في مثل: زيد طويل النّجاد، ومن ثمّة فهذه العلاقات هي الطّريق إلى الاستدلال. وقد حاول البيانيّون حصر العلاقات في مجموعة من العلاقات تشكّل الرّباط الذي تقوم به المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه، كعلاقة المشابهة، والغائيّة (السّببيّة والمسببية)، والكمّ (الكليّة والبعضيّة)، والزّمان (اعتبار ما كان وما يكون)، والمكان (الحاليّة والمحليّة). (غاليم، 1987، صفحة 21) فمرجع التعبيرات المجازية هي طبيعتنا البيولوجية، فعقولنا مصممة كي تفكر مجازيًا؛ فالدماغ البشري تطور مع قشرة الدماغ الخاصة بالعمليات العليا آخذة البيانات من مناطق الإدراك والحركة، ونتيجة لذلك تعدّ المفاهيم الحركية والمكانية الأساس الطبيعي للتفكير المجرد. وعليه يمكن رد "المجاز" إلى آلية فسيولوجية، وإلى قدرة عقولنا على توظيف العمليات الإدراكية والعمليات الاستدلالية الحركية لخلق العمليات الاستدلالية المجردة. فاللغة المجازية إذن ليست إلا جانبًا واحدًا من جوانب الدماغ المجازي. (حمودة، 2010) ونستنتج مما سبق أنّ العلاقات المجازيّة هي علاقات عقليّة بحتة، وهي التي تسمح بالانتقال من معنى إلى آخر، ومن حكم إلى آخر، وكذلك التّبديل في الحكم الإسناديّ، فبالمجازات تمنحنا القدرة على التخيّل والاستنتاج والتأمّل والتّفكير والتوسّع. وفي الجانب نفسه؛ ترى إحدى الدراسات أنّ أفكارنا المجردة الأساسية تعتمد على مجموعة متنوعة من الاستعارات المعقدة، والتي يتم دمجها في مجموعة من الاستعارات الأولية التي تتوسطها التجارب المادية في البيئة .هذه الاستعارات الأولية هي نتيجة التنسيقات المتكررة للتجربة الذاتية والوظائف الحركية الاستشعارية. ويؤدي التنشيط المنسق للوظائف النفسية والفسيولوجية إلى توليد ميل لتطبيق كلمات من مجال الخبرة الحسية الحركية لتسمية ظواهر التجربة الذاتية التي يتم بالتالي تصورها بشكل مجازي .أي أن استعاراتنا الأولية مستمدة من بنية أجسادنا وعقولنا، ومن خصائص العالم الذي نعيش فيه.(Sauledaa, Huber, & Martinez, 2001) إذن؛ فالمجاز جزء أساسيّ من التّفكير الإنسانيّ، أي أنّه جزء من نسيج اللغة، والتي لا تتجزّأ من عمليّة الإدراك. (حسن، 2021، ص56)، كما أنّ المعاني أسبق في العقل من التعبير عنها

لفظيًا، لكن المعاني لا يمكن أن تتهيّأ صورها على نحو مجرّد ومنطقيّ، بل تنتعش الأخيلة لتغذّيها بالمجاز، الذي قد يكون عبارة عن إحالات ضمنية إلى الحكم والأمثال والتعبيرات الجاهزة المتداولة وما تعارفت عليه الجماعة من تصوّرات مستمدّة من التاريخ والبيئة وغيرهما. (حسن، 2021، ص47) ويتطلّب تفسير بعض الاستعارات اللفظية صورًا ذهنية يمكن أن تنتج تجارب شبيهة بالإدراك؛ إذ أظهرت دراسات تصوير الدماغ أن مناطق الدماغ في النصف الأيمن من الدماغ، المرتبطة بالإدراك والتصور والتخطيط الحركي، يتم تنشيطها عن طريق فهم الاستعارة اللفظية، وأن النصف الأيمن يلعب دورًا مهمًا في تكامل الطرائق المختلفة أثناء فهم الاستعارة. (Ervas , Gola, & Rossi, 2017, p. 7)

ويذكر حمودة (حمودة، 2010) أن المجاز ليس لعبة من الكلمات، بل هو ظاهرة معرفية تشتمل على المفاهيم. ويرى أن بمقدورنا أن نجمع في اللغة الحقيقية أو المألوفة مفهومين لنحصل على مفهوم آخر دون أن نغير المفاهيم الأصلية كما في قولنا: "زواج صالح". أما في اللغة المجازية فيُجمع مفهومان للحصول على مفهوم جديد كما في قولنا: "الزواج كابوس"، حيث يكتسب كلا المفهومين معنى مختلفًا، فيعكس المفهوم الأول الجانب السوداوي للزواج، ويعكس الآخر جانبًا من معنى الزواج على معنى الكابوس. وبذا تصبح العملية تبادلًا للمعنى بين هذين المفهومين، ويصبح المحمول الذي ينطبق عادة على أحد المفهومين قابلًا للتطبيق على الآخر والعكس صحيح أيضًا. ويرى حمودة أن المجاز يصبغ لغتنا وأفكارنا بغرس المفاهيم في أجسادنا؛ فالمجاز يمدنا بإطار عملي تجريبي، ويمكّننا من التوفيق بين المفاهيم المجردة؛ وبفضله يمكننا الحد من المفاهيم المجردة وفهمها لتتلاءم مع خبراتنا الجسدية وعلاقتنا بالعالم الخارجي، وبذا يعد المجاز وسيطًا بين تصورنا الافتراضي للعالم وبين تجربتنا الحسية له. ويقول ستين في وصفه للاستعارة وقدرتها العقلية على صناعة المعنى: "لقد صارت الاستعارة مفهومة بوصفها مثالًا رفيعًا للكشف عن القدرة البشريّة على صنع المعنى." ويضرب أمثلة على ذلك: جولييت هي الشّمس. –الدّين أفيون الشّعوب. –كرة القدم حرب. فلم تعد الاستعارة بالنسبة إليه علامة على العبقرية الأدبيّة أو الفنية أو العلميّة، بل أصبحت ملكيّة مشتركة بين الجميع رجالًا ونساءً وأطفالًا. (ستين، 2005، ص25) وبذلك؛ نرى أنّ للمجاز قدرة عقلية تفصح عن التعبيرات البسيطة اليوميّة كـ"عين الماء" و"رجل الطاولة"، وكذلك القدرة على وصف الظواهر الإنسانية الأكثر تعقيدًا. (حسن، 2021، ص56)، والمجاز باختصار—كما يرى الخالفي––وسيلة من وسائل الأداء اللغويّ، تتعلّق بطبيعة اللغة كنشاط عقليّ يسعى إلى المعرفة. (خالفي، 2011، صفحة 104)

القيمة الوظيفية والتواصليّة للمجاز

بالإضافة إلى القيمة التصوريّة والإبداعية للمجاز، فهناك قيمة تواصليّة اتّصاليّة لا يمكننا أن نغفل عنها، ويُرى (لايكوف و جونسون، 2009، صفحة 12) أنّ جزءًا هامًا من تجاربنا وسلوكاتنا وانفعالاتنا استعاريّ من حيث طبيعته، ولذا فنسقنا التصوريّ يكون مبنيًا بواسطة الاستعارة. والاستعارة كما يرى لايكوف ليست مرتبطة فقط بالخيال الشعريّ والزخرف البلاغيّ، وإنما هي مرتبطة بالتفكير والأنشطة؛ فهي حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية، كما أنّها توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضًا، فالنسق التصوري الذي يسيّر تفكيرنا له طبيعة استعاريّة. ويمثّل على ذلك: "الجدال حرب"، وأمثلة أخرى بما تعكسه هذه الاستعارة من عدد كبير من التعابير؛ كـ: "لا يمكن أن تدافع عن ادّعاءاتك" "أصابت انتقاداته الهدف" "لم أنتصر عليه يومًا في جدال"، وبهذا المعنى تكون استعارة الجدال حرب من بين الاستعارات الموجودة في ثقافتنا والتي نحيا بها: فهي تبيّن الأنشطة التي ننجزها عندما نتجادل. (لايكوف و جونسون، 2009، صفحة 22) والمجاز كذلك يتمثّل في اللهجات العامية والدارجة، وله كذلك وظائف أساسيّة في فهم التعبيرات والتركيبات، كما يرى حسن (حسن، 2021، ص15)، وهو يحمل الكثير من الدلالات، وقد تكون هذه الوظائف، وتلك الدلالات، اجتماعية

أو سياسية أو نفسية، لتشكل جزءًا رئيسيًا من الخطاب. كما يجب التأكيد على وظيفة البلاغة المعرفية إلى جانب وظيفتها الجماليّة؛ فالصور المجازية تظهر في الاستعمالات العادية للغة، ونراها في عناوين الصحف، ففي صحف أجنبية نجد عبارات من قبيل: "التأمين الصحي يخضع للجراحة" و"سفينة الطاقة تدفع أشرعتها رياح جديدة" و"أمريكا تكسر حصالة الضمان الاجتماعي "، ونرى في صحفنا عبارات مثل "سفينة الوطن" و"رياح التغيير" و"الإرهاب الأسود" و"قافلة التنمية". فالمجاز حاضر في تفاصيل حياتنا اليومية، (حسن، 2021، صفحة 19)

وفي سياق الحديث عن قيمة المجاز في تحقيقه لعملية الخطاب وتحقيقه لمقاصد المتكلّمين، تتحدّث بعض الدراسات عن ذلك بشيء من التفصيل؛ فترى الوشن أنّ المجاز في أغلب تعريفات اللغويين هو "كلّ كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأوّل"، وقد تواضع حكماء اللغة على معنى لكل لفظة، وإذا عدل معنى اللفظ عما يوجبه أصله باللغة وصف بالمجاز على اعتبار أنّه جاز به موضعه الأصليّ، فيتحرّر المعنى عن طريق المجاز، نحو المجاوزة والاتّساع المحض. وهذه المجاوزة والاتساع هو تحقيق لمقاصد المتكلمين المستعملين للغة، والتي لا يمثّلها الوضع اللغويّ المجرّد، بل تفهم من الاستعمال اللغويّ في سياقه، والمتجدّد بتجدّد مقاصد المتكلّمين، ليستند المخاطبون إلى السياق الاستعماليّ ثمّ يتجاوزون الوضع اللغويّ في تفسيراتهم واستنتاجاتهم الدلاليّة تلبية لمقاصدهم وأغراضهم. كما أنّ القصد الكلاميّ يتحكّم في عمليّة الإسناد الحاصلة في كلّ تركيب، فكلّ تركيب يصدر من متكلّم يكون مقصودًا، فلا يقوم على الإسناد المتعارف ولذلك سمي مجازًا. (وشن، 2021، ص156) كما تؤكد الأبحاث أنّ نسقنا اللغويّ مرتبط بشكل لا مناص به ببقية نسقنا الفيزيقي والمعرفيّ. وتظهر كذلك التطورات الحديثة في اللغويات المعرفية، والفلسفة، والأنثروبولوجيا، والسيكولوجيا أنّ معرفتنا وإدراكنا مبنيّ استعاريا؛ فالناس يفهمون خبراتهم بألفاظ مجازية بواسطة الاستعارة والكناية والمفارقة، فهذه المبادئ تماثل الكيفية التي نفكّر فيها ونستدل ونتخيّل. (النعمان، 2021) فالمجاز، إذن؛ حاضر في اللغة التي نتحدث بها ونكتب ونتواصل، إلى جانب الإقناع وجذب الانتباه وإثارة العواطف وكسر أنماط التفكير، وهو كذلك يخضع للتداول بين الناس لتحقيق الوظائف الاجتماعية.

القيمة الدلالية للمجاز: توسّع وتوليد

كان العرب قديمًا يستخدمون المجاز من باب **الاتّساع** في اللّغة، وبهذا يرى سيبويه (سيبويه، 1988، 212/1) في قوله تعالى: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ} (سبأ، 33) فالليل والنّهار لا يمكران، ولكن المكر فيهما. وسمعنا من العرب من يقول: اجتمعت أهل اليمامة، لأنّه يقول في كلامه اجتمعت اليمامة، يعني أهل اليمامة. (سيبويه، 1988، 53/1) واللغويون كانوا يسمّون المجاز اتّساعًا وذلك بسبب طبيعة الأسلوب المجازيّ. وأكّد اللغويون أنّ الاتساع اللغويّ—كالاستعارة--بما هو زيادة في الأسماء وخلع أوصاف تخصّ في الحقيقة الأعيان والجواهر على الأحداث والأغراض بما هو لون من ألوان التأكيد شأن استعمال لفظ السؤال مع ما لا يصحّ في الحقيقة سؤاله أو وضع لفظ الواحد للجماعة. (عبد الجليل، 1986، ص139) .

ويتحدّث سيبويه عن باب يحذف منه الفعل لكثرته في كلامهم حتّى صار بمنزلة المثل." (سيبويه، 1988، 1/ 280) ويضرب أمثلة على ذلك من قول العرب: ومن ذلك قول العرب: " كِلَيْهما وتمراً "، فذا مَثَلٌ قد كَثُرَ في كلامهم واستعمل، وتُرك ذكرُ الفعل لِما كان قبل ذلك من الكلام، كأنّه قال: أَعطِني كِلَيْهما وتَمْراً." ومن ذلك قولهم: " كلَّ شيء ولا هذا " و " كل شيء ولا شتيمة حر "، أي ائت كل شيء ولا تَرتكِبْ شتيمةَ حُرٍّ، فحذف لكثرة استعمالهم إيّاه. (281/1) وحذَفوا الفعل لكثرة استعمالِهم إيَّاه في الكلام، ولعلم المخاطَب به. (283/1) ويلحظ لدى سيبويه أيضًا اقتران السعة بالإيجاز والاختصار فيتحدّث عن باب "استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى

لاتساعهم في الكلام، والإيجاز والاختصار" وعدّ منه قوله تعالى: {وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ} (يوسف، 82)؛ فيقول "إنّما يريد أهل القرية فاختصر وعمل الفعل في القرية. (212/1). لن نخوض في كلّ ما أورده سيبويه من باب الحذف للاتساع في الكلام، فالحديث عنه يطول؛ ولكننا ننوّه إلى ما لفت إليه سيبويه عندما تحدّث عن:

- الإيجاز وهو المجاز بتعبير البلاغيين الذين بعده.
- الحذف لعلم المخاطب به؛ وهو ما نوّهنا إليه في السابق عن دور المجاز في التواصل والإيصال، ووظيفته الخطابية.
- التوسّع في الكلام؛ وهو القيمة التي يحققها المجاز في الكلام.

وتتّسع الدلالات المجازية في كلّ تفاصيل حياتنا، كما أنّ الكلمات المعجمية نستخدمها بمدلولات أخرى لتعبّر عن معانٍ مختلفة، وإيحاءات ودلالات متعدّدة، ويفهمها المخاطب تبعًا لسياقها الاجتماعيّ أو الثقافيّ أو الجغرافيّ. وفي هذا السياق، يُلاحظ (العقاد، 2012، ص15) أنّ الكلمة الواحدة تحتفظ بدلالتها الشّعريّة المجازيّة، ودلالتها العلميّة الواقعيّة في وقت واحد بغير لبس بين التّعبيرين، فكلمة الفضيلة تدلّ بغير لبس على معنى الصّفة الشّريفة في الإنسان، ولكن مادّة فضل بمعنى الزّيادة على إطلاقها لا تفقد دلالتها الواقعيّة على الموادّ المحسوسة، بل يصحّ عند جميع المتكلّمين والمستمعين أن يفهموا "فضول" القول على أنّه وصف غير حميد؛ لأنّ الزّيادة في غير جدوى تخالف الزّيادة المطلوبة إذا كان المقام مقام القول في صفات الكلام. بل يجوز للمتكلّم البليغ أن يستخدم مادّة البلوغ للوصول إلى البلد أو المكان، ويستخدم مادّة البلاغة والإبلاغ إلى إقناع العقول، والإفضاء إليها بالأثر المنشود من المقال.: "ومن السّهل بمكان الجمع بين التّعبير الواقع والتّعبير المجازيّ في مئات من الكلمات تجري على الألسنة كلّ يوم، وتؤدي إلى السّامعين معانيها النّظريّة الفكريّة، ومعانيها الحسيّة في وقت واحد بغير لبس بين المقصود في كلّ مقام. فلا لبس في قول القائل: إنّه "يقيّد شوارد الأفكار"، ولو شفعها بعد ذلك باستخدام كلمة القيد في تقييد الأسير والسّجين، ولا لبس بين الشّرف بمعنى رفعة المقام وبين الشّرف الذي يفهمه السّامع، إذا سمع عن بناء من الأبنية أنّه قائم على شرف من الأرض، أو أنّه مشرف على ما دونه من الأمكنة." (العقاد، 2012، ص15) ويرى لاينر أنّ القدرة على توسيع معنى الوحدات المعجميّة عن طريق عمليّات التّحويل الاستعاريّة مثلًا، تعتبر جزءًا لا يتجزأ من القدرة اللغويّة للمتكلّمين، والإبداعيّة المجازيّة منتجة للتعدّد الدلاليّ الذي يعتبر خاصّة جوهريّة من خصائص عمل اللغات باعتبارها أنساقًا سيميائيّة مرنة وفعّالة. (لاينر، 1987، ص193) وهذا يعني أنّ أيّة نظريّة للمجاز، باعتبارها جزءًا من نظريّة لغويّة عامّة، يجب أن تفترض أنّ المتكلّم حين يستخدم المجاز، يستعمل نفس الأدوات اللغويّة التي يعتمدها حين يستخدم استعمالات غير مجازيّة. (غاليم، 1987، ص51–52)

وفي سياق آخر، عند تأمّلنا تعريف المجاز: وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة ما بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازيّ، ويكون هذا الاستعمال لقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقيّ؛ فإننا نستقرئ إمكانيّة المجاز في التوسّع والتوليد لمعانٍ ودلالات جديدة. ويرى غاليم أنّ حديث القدماء عن إمكان النّقل عن "وجه العلاقة"، كما هو الحال في نقل "الاسم اللّغويّ" إلى "المعنى الشّرعيّ" بناء على علاقة الخاصّ بالعامّ (أو الجزء بالكلّ) في نقل (الصّلاة) مثلًا من مجرّد (الاتّباع) إلى مجموع الأفعال الشّرعيّة التي يعنيها الاسم شرعًا، حتّى أنّه "لا يخطر ببال السّامع والمتكلّم إلا جملة هذه الأفعال، دون الاتّباع". أو علاقة العامّ بالخاصّ (أو الكلّ بالجزء) في نقل الصّوم عن إفادته في اللّغة (الإمساك) إلى إفادته في الشّريعة إمساكًا مخصوصًا–فتكون "الحقائق الشّرعيّة مجازات لغويّة غلبت في المعاني الشّرعيّة لكثرة دورانها على ألسنة الشّرع." فالعلاقات المجازيّة، تحدّد إمكان توليد دلالات جديدة، وعدم الاقتصار على

المستعمل والمنقول، لأنّ العبرة بنوع هذه العلاقات لا بأشخاصها، أي دون البحث عن اللفظ بعينه. فالمبدأ إذن استعمال اللفظ في غير ما وضع له على طريق المجاز، أو نقله من معناه الأصليّ إلى معنى اصطلاحيّ، متى تحقّق بين المعنيين علاقة من العلاقات المقرّرة في علم البيان، والتي "**جرت عادة العرب**" أن يعتمدوا عليها في تعبيرهم المجازيّ. (غاليم، 1987، صفحة 23) ويعدّ التوليد حركة تجديد دائمة، تبدع ألفاظًا جديدة وتولد معاني وتراكيب يتجدد من خلالها التعبير، وكذلك فهي توسّع المعنى الواحد إلى معاني متعدّدة وذلك من خلال الأساليب المجازيّة. كما يمكن للاستعارة أن تلعب دور المحفز لإنشاء تشبيهات وأشكال فهم جديدة. ومن الأمثلة على ذلك مفهوم قنوات الري الهولندية الذي سمح في القرن السابع عشر لوليام هارفي بصياغة اكتشافه العلمي حول نظام القلب والأوعية الدموية. (Ervas , Gola, & Rossi, 2017, p. 11)

> ولا نغفل كذلك دور المجاز في توليده للمصطلحات الجديدة؛ ويعدّ جزء كبير من نظامنا المفاهيمي منظمًا من خلال العلاقات المجازية، ومن خلال هذه الاستعارات ندرك أوجه التشابه الأساسية بين الكيانات التي قد تبدو متباينة. وبالتالي، فإن الخبراء هم أكثر منشئي الاستعارات فعالية بسبب قدرتهم على ربط أي موضوع معين بمجال معرفتهم بطرق غير محدودة تقريبًا. (Sauledaa, Huber, & Martinez, 2001) وفي هذا الصدد يوضّح الباحث (الدرقاوي، 2015، ص194–196) مفهوم المصطلح: المصطلح هو علامة صوتية ماثلة في العقل البشري يمكنها أن تتخلص من "أعيان الموجودات المشخصة، لتصبح مقترنة رأسًا بالمتصورات الذهنية"، يصير بها فاعل العبارة وواضع المصطلح إلى النسخ والتجوز، "فيعبّر بالمعنى بغير اسمه الذي جعل له أولًا، وجعل الاسم الذي كان لمعنى ما راتبًا له دالًا على ذاته عبارة عن شيء آخر متى كان له به تعلّق، ولو كان يسيرًا، إما لشبه بعيد، وإما لغير ذلك، فتحدث حينئذ الاستعارات والمجازات. هذه الحركية المستمرة بنقل الألفاظ من معناها الأصلي إلى المعنى العلمي لا تزال من أنجع الوسائل في تنمية اللغة، في جعلها صالحة لاستيعاب العلوم الحديثة؛ والألفاظ التي نقلها الأجداد من معناها اللغوي إلى معناها الاصطلاحي لا تعدّ ولا تحصى، فكلمة الحج معناها اللغوي القصد، وبمجيء رسالة الإسلام خُصّ معناها الاصطلاحي بقصد بيت الله، وألفاظ النحو والصرف والعروض والإعراب والإدغام وأسماء الحركات وأسماء بحور الشعر كلها لها معانٍ لغوية ومعانٍ اصطلاحية استعملت مجازًا عندما وضعت في أيام الراشدين والأمويّين. وترى الباحثة (القنيعير، 2020) أن المصطلحات عملية إبداع واعية إلى حد كبير، ولذلك فإنَّ واضع المصطلحات يتبع غالبًا نسقًا ذهنيًا محددًا، ونظامًا معينًا متوفرًا في طبيعة اللغة التي ينقل إليها وينطلق منها لصوغ مصطلحاته. ومن هذه الأنساق وضع مصطلحات جديدة قياسًا على تسميات قائمة، وذلك بتحويل الدلالة عن طريق المجاز والاستعارة، والمصطلحات التي توضع على هذا النسق كثيرًا ما يُنظر إلى تعدد الوجوه الدلالية لمفردات اللغة العامة، فبدلًا من أن نصف شيئًا بقولنا هو (مثل كذا) فإنه بالإمكان أن نطلق عليه اسم الشيء الأقرب إليه شبهًا. ومن الأمثلة المتعلّقة بذلك هي "تسمية الأمراض"، فقد استعان الأطباء العرب بالمجاز لوضع مصطلحات بعضها، إذ يستند نقل اللفظ من مجال إلى آخر إلى مسوغات التشبيه الشكلي أو الوظيفي بين المنقول عنه والمنقول إليه. إذ

اهتمّ ابن سينا في كتاب القانون ببيان أصول تسمية مصطلحات الأمراض، فقد وضّح تسمية مصطلح (السرطان) فذكر أنه إنما سُمّي بذلك لأحد أمرين: "إمّا لتشبثه بالعضو كتشبث السرطان بصيده، وإمّا لصورته في استدارته في الأكثر مع لونه وخروج عروق كالأرجل منه". وكذلك أمثلة على مصطلحات طبيّة وضعها الأطباء القدامى معتمدين فيها على المجاز، مصطلح (البَيْضَة) للدلالة على الصداع وذلك تشبيهًا ببيضة السلاح التي تشتمل على الرأس كلّه، وكذلك مصطلح (الجَمْرَة) للدلالة على قرحة المعدة التي يشبه وجعُها حَرْقَ النار، ومصطلح (الدّوَالِي) للدلالة على عروقٍ خضراءَ غليظةٍ وملتويةٍ تظهر في الساق، لأنها تشبه عناقيدِ العنبِ في تشعبّها.

والسؤال المطروح هنا؛ هل يستطيع متعلّم اللغة العربية أن ينتج مجازًا يتضمّن اتّساعاً في اللغة وتوليدًا لمصطلحات ومفاهيم جديدة؟ وهل يستطيع إدراك الجملة البيانيّة المجازيّة كما يدركها الناطق للغة العربيّة؟

خاتمة:

خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

تنبع أهمية المجاز من قيمته الدلاليّة والفكرية والثقافيّة والجماليّة، وكذلك قدرته على التوليد والتوسيع وإنتاج صياغات متعددة ومختلفة؛ وذلك ما يحدو بنا إلى التفكير بشكل جادّ في تأسيس منهج يؤسس لتعليم البلاغة العربية للناطقين بغيرها بشكل عامّ، وللمجاز بشكل خاصّ، وبالإضافة إلى ذلك تتمثل أهمية المجاز كأداة تعليمية في تحسين مهارات الفهم والإنتاج اللغويّ لدى متعلّمي العربية. ومما لا شكّ فيه، أننا حين نؤسس منهجًا قائمًا على الأدب، يجب ألا نعدّ اللغة الوسيطة أساسًا لترجمة المعاني والصيغ البلاغيّة. كما تطمح هذه الدراسة أن يدرك متعلم العربية جملة المجاز كما يدركها الناطق بها من غير لغة وسيطة ومن خلال منهج يعتمد على التدرج والتنوّع والتراكم.

المصادر والمراجع:

ابن الأثير، ض (1420هـ.–1999م.). المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

ابن جني، ع. (2008). الخصائص. تحقيق عبد الحميد هنداوي. (ط 3). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن فارس، أ. (1997). الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. تحقيق أحمد بسج، (ط 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور، م. (١٤١٤ هـ). لسان العرب (ط 3). بيروت: دار صادر.

ابن النجار، م. (1997). شرح الكوكب المنير: مختصر التحرير. تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، (ط 2). الرياض: مكتبة العبيكان.

أبو العدوس، ي. (2013). مدخل إلى البلاغة العربية: علم المعاني – علم البيان – علم البديع. عمّان: دار المسيرة للطباعة والنشر.

أبو موسى، م. (1987). دلالات التّراكيب: دراسة بلاغيّة (ط 2). القاهرة: مكتبة وهبة.

إبراهيم، إ. وفيصل، خ. (2022). التوسّع بالحمل على المجاز في (معجم الصواب اللغوي) للدكتور أحمد مختار عمر. journal of divinity faculty of Kastamonu University، الصفحات 149-165.

التفتازني، س. (د.ت.). شروح التلخيص. بيروت: دار الكتب العلمية.

الجاحظ، ع. (1423هـ-2002م). البيان والتّبيين. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الجرجاني، ع. (1991). أسرار البلاغة. تحقيق محمود شاكر. القاهرة: مطبعة المدني.

الجرجاني، ع. (1992). دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق محمود شاكر، (ط 3). القاهرة: مطبعة المدني.

الجناحيّ، ح. (1983). النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق. القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

الجوزية، ش. (2014). الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان. تحقيق عطية الغول، (ط 1). عمان: دار الجنان للنشر والتّوزيع.

الخطيب القزويني، ج. (1904م). التلخيص في علوم البلاغة. تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، (ط 1). القاهرة: دار الفكر العربي.

الخطيب القزويني، ج. (1993). الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع (ط 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

حمودة، أ. المجاز: الأسلوب الذي نفكّر فيه.في المثقّف. (2010) من موقع https://www.almothaqaf.com/. https://www.almothaqaf.com/.

حسن، ع. (2021). المجاز السياسيّ. الكويت: المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب.

خالفي، ح. (2011). البلاغة وتحليل الخطاب. بيروت: دار الفارابي.

درابسة، م. (د.ت.). مفهوم المجاز بين ابن سينا وابن رشد. مجلة جامعة أم القرى، (19) 19-24.

الدرقاوي، م. (2015). أثر الاشتقاق والمجاز في بناء المصطلح اللسانيّ. مجلة رفوف(7)، 180-199.

رمضان، هـ. (2019). الأدب العربي في مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها دراسة مقارنة. مجلة كلية الإلهيات بجامعة رزا، 62-87.

الزيادات، ت. (2016). صعوبات تعليم البلاغة العربيّة للناطقين بغيرها: جامعة شرناق/تركيا نموذجا. مجلة القسم العربي:جامعة بنجاب(23).

زيدان، أ. (2016). العدول عن الحقيقة إلى المجاز. مجلّة آفاق للعلوم، 1(4)، 142-148.

ستين، ج. (2005). فهم الاستعارة في الأدب: مقاربة تجريبيّة تطبيقيّة. ترجمة شعبان مكاوي ومحمد حمد. القاهرة: المجلس الأعلى للثّقافة.

السّكاكيّ، ي. (1987). مفتاح العلوم. تحقيق نعيم زرزور، (ط 2). بيروت: دار الكتب العلمية.

سيبويه، ع. (1988). الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون، (ط 3). القاهرة: مكتبة الخانجي.

الشريف الجرجاني، ع. (1983). كتاب التعريفات (ط 1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الشوكاني، م. (1999). إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول. تحقيق أحمد بطنا، (ط 1). دار الكتاب العربيّ.

عبد الجليل، م. (1986). المجاز وأثره في الدرس اللّغويّ. بيروت: دار النّهضة الغربية.

العقاد، ع. (2012). اللغة الشّاعرة. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثّقافة.

غاليم، م. (1987). التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

القرطاجني، ح. (2008). منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة. تونس: الدار العربية للكتاب.

القنيعير، ح. توليد–المصطلح–العلمي–في–اللغة–العربية. (2020)، من موقع https://www.alarabiya.net

القيرواني، ا. (1981). العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (ط 5). دار الجيل.

لايكوف، ج. وجونسون، م. (2009). الاستعارات التي نحيا بها. ترجمة عبد الحميد جحفة. المغرب: دار توبقال للنشر.

لاينر، ج. (1987). اللغة والمعنى والسياق. ترجمة يوئيل عزيز وعباس الوهاب. بغداد: دار الشؤون الثّقافيّة العامّة.

مداس، س. (2016). المجاز في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني دراسة تداوليّة. الجزائر: جامعة محمد خيضرة بسكرة.

مزيتي، س. (2017). مشكلات الدلالة في المعجم الثّنائيّ اللغة. مجلة العلوم الإنسانيّة 1(47)، الصفحات 427–442.

المسيري، ع. (2002). اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود. القاهرة: دار الشروق.

المليجي، ح. (د.ت.). الأدب والنصوص لغير الناطقين بالعربية. الرياض: جامعة الملك سعود.

النعمان، ط. الاستعارة التصورية: قراءة في الأدبيات المعرفية. مجلة الكلمة. (2021) من موقع http://www.alkalimah.net/.

النور، ن. المجاز السياسي– الدلالات والتفسير. (2022) من موقع https://alketaba.com/.

وشن، د. (2021). القصد والمجاز في البلاغة العربيّة (عبد القاهر الجرجاني أنموذجًا). مجلة الممارسات اللغويّة، 12(1)، 146–166.

يونس، ف. وبدوي، ا. (1988). الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (ط2). تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

Ervas , F., Gola, E., & Rossi, M. (2017). Metaphor in Communication, Science and Education. Berlin: Walter de Gruyter GmbH & Co KG.

Martinez, M., & Sauledaa, N., Huber, G. (2001). Metaphors as blueprints of thinking about teaching and learning. Teaching and Teacher Education, 17, pp. 965-977.

"The Importance of Teaching Rhetoric to Arabic Non-Native Speakers"

Researcher:

Dr. Dima Ibrahim Nawara

Abstract:

Objectives: This research aims to emphasize the importance of addressing Arabic discourse and rhetoric, in general and figurative language, in particular, when developing curricula for non-native speakers. This is due to the significance of rhetoric surpassing its expressive and aesthetic value. The study focuses on the cultural and intellectual value of rhetoric and its role in achieving communicative processes. Additionally, it underscores the importance of following a sequential methodology based on progression, diversity, and accumulation while composing discourse for Arabic learners who are not native speakers.

Methodology: To achieve the research objectives, the study is divided into two parts. The first is theoretical, discussing the concept of rhetoric, its meaning among ancient and contemporary Arabic linguists. The second part follows an analytical approach in collecting data related to the teaching of rhetoric to non-native and the reasons to develop related curriculum. Research then analyzes data is interpreted.

Results: The research concludes that rhetoric holds aesthetic, intellectual, and functional value in language. It also emphasizes the importance of rhetoric as an educational tool to improve comprehension and linguistic skills among non-native Arabic learners.

Conclusion: The study revealed the rhetorical, social, political, and psychological aspects of figurative language in everyday discourse. Rhetoric ability to expand, creatively express new structures and phrases. The study recommends adopting an integrated sequential methodology for teaching rhetoric.

Keywords: Non-native Arabic speakers, Arabic discourse, rhetoric, comprehension.